ظلوا ينصحوننا بألا نزج أنفسنا في شأن عائلي، وانما بدأوا يدركون ابعاد النزاع بعد مجازر ضبية والكرنتينا، في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦، ووقفوا الى جانبنا، صراحة، بعد التدخل العسكري السوري في لبنان. ويقيناً، ان بياناتهم، وصحفهم، لم تنتقد الحكومة السورية الاّ تلميحاً. الاّ ان الرئيس [حافظ] الاسد أفضى اليّ بأن موسكو أوقفت شحن قطع الغيار الى الجيش السوري منذ حزيران (يونيو) ١٩٧٦؛ كما انه تلقى، بموازاة ذلك، رسائل من القادة السوفيات تحثّه على اعادة الجسور، الى سابق عهدها، بينه وبين اليسار اللبناني والمقاومة [الفلسطينية]. الاّ ان موسكو... لم تتخذ أي اجراء لكسر الحصار الذي فرضته علينا اسرائيل والانفصاليون [اللبنانيون] وسوريا، في البحر والبر... اني اعتقد بأن موسكو لم تكن تريد ان تتورط في نزاع قد يؤدي بها الى المواجهة مع الولايات المتحدة [الاميركية]، واحسب ان دواعي الامن ومقتضيات الانفراج تغلبت على رغبتها في مساعدتنا»(٧٤).

وبالفعل، كانت موسكو تصرّ، طوال صيف وخريف العام ١٩٧٦، على وضع نهاية للقتال الدائر في لبنان بين سوريا من جهة، ومنظمة التحرير الفلسطينية وحلفائها اللبنانيين من جهة أخرى. ففي التاسع من حزيران (يونيو)، دعت الى وقف فوري لاطلاق النار، ووصفت الحرب بأنها «حرب بين الأخوة»، منتقدة التدخل السوري، ضمناً. وخلصت الى «ان دوائر القيادة السوفياتية ترى من الضروري ان تلفت النظر» ان الفلسطينيين الذين يمارسون «نضالاً شجاعاً من أجل حقوقهم القومية»، دُفعوا الى القتال دفعاً. وكان ذلك أول انتقاد ضمن سبعة انتقادات علنية، رسمية وشبه رسمية، وجهتها موسكو ضد التدخل العسكري السوري في لبنان. وعلى الارجح، فان موسكو كانت تمشي على «حبل خطر» بين حليفيها، السوري والفلسطيني، الاّ انها كانت تميل، بصورة عامة، الى الجانب الفلسطيني. ففي الوقت الذي أبلغ السفير السوفياتي في بيروت، الكسندر سولداتوف، الى عرفات ان الاتحاد السوفياتي يقف الى جانب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، وانه يؤيد تسوية الازمة «بمعزل عن أي حل خارجي»(٧٥)، وفي الوقت الذي كان وزير الخارجية السوري، عبدالحليم خدام، في طريقه الى موسكو للتباحث مع المسؤولين السوفيات عن الازمة الناشبة في لبنان،أرسل بريجينيف رسالة شخصية بالغة الصراحة، الى الاسد، في ١١ تموز (يوليو) ١٩٧٦، دعاه فيها الى سحب القوات السورية من لبنان. وقال الزعيم السوفياتي في رسالته التي سربت، فيما بعد، الى الصحافة «اننا لا نفهم تصرفاتكم ولا أهدافكم في لبنان». وقبل يومين من تاريخ الرسالة، كانت لجنة التضامن الافرو ـ آسيوية السوفياتية أصدرت بياناً دعت فيه الى «وقف التدخل الخارجي» في لبنان، والى مناصرة القوات الفلسطينية واللبنانية المشتركة، كما نحت باللوم الخفيف على التدخل السوري الذي وصفته بأنه «زاد الامور تعقيداً» في لبنان. وقد ترددت المطالبة بالانسحاب العسكري السوري في لبنان، بصورة شبه رسمية، في مقال نشر في صحيفة «برافدا»، في الثامن من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٦، تحت امضاء «مراقب، استخدم كاتبه، الذي يعبر، عادة عن موقف رسمي، لهجة حادة لم تكن استخدمت من قبل بهذه الصورة العلنية؛ اذ لاحظ انه «مهما تكن المعطيات التي حدت بدمشق الى ارسال قواتها الى لبنان، فان هذا القرار انقلب ضد الحركة الفلسطينية وأتاح لليمين ان يوجه ضربات موجعة الى بعض فصائل القوات الفلسطينية واللبنانية القومية والوطنية». وبعد أن كرر «المطالبة بانسحاب سوريا»، خلص الى ادانة «بعض العناصر اليسارية المتطرفة» الفلسطينية واللبنانية التي ترفض كل تسوية، شأنها في ذلك شأن اليمين اللبناني. وفي أواخر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٦، أرسل القادة السوفيات، على ما يبدو، رسالة ثانية، الى الرئيس الأسد، طالبوه، مرة أخرى، بسحب قواته وبوقف المعارك مع الفلسطينيين، كما أكدوا ضرورة توحيد الصفوف الفلسطينية